مجلہ تحقیق
کلیہ علوم شرقیہ
جلد ۳۰، اپریل۔ جون ۲۰۰۹ء، شمارہ ۷۵

Majallah-e-Tahqiq
Research Journal of
the Faculty of Oriental Learning
Vol: 30, Sr.No.75, 2009, pp 109 – 130

المؤثرات العربية في الأدب الفارسي

الدكتورة نرجس الخريم[1]

Abstract:

Though there are traces of relations of Persian Empire to Arabian Peninsula even before the advent of Islam, yet the influence of Arabic language and culture is a story of later periods. Pahlavi language was in vogue when Islam and its official language---Arabic entered into Iran in the very first century of Islam. The Iranians embraced Islam at large scale at their own free will and then turned to learning its language and made history by making matchless contributions. Their love for Arabic language and literature directly influenced their own language especially in religious and political discourses. This article is an effort to trace the influence of Arabic language on Persian language and literature.

إن اللغة كسائر مظاهر الحياة تعمل فيها الحوادث والطوارئ فتعطيها شيئاً وتأخذ منها شيئاً، فقد تتغير مبانيها وصورها على مرور الزمان وكثرة العوامل فإذا بها لغة أخرى قد لا تشبه أصلها في شيء ولا يجمعها معها لفظ، وذلك إذا ما تهيأت لها أسباب التغيير والتبديل والتجديد، وهذا ما طرأ على جميع

---

[1] باحثة في اللغة الفارسية وآدابها والدراسات الإيرانية بجامعة مارك بلوك باستراسبورك بفرنسا

اللغات البشرية عند مرورها بعوارض زمنية عملت فيها عملها، واللغة الإيرانية من بين هذه اللغات.

لقد مرت اللغة الإيرانية بثلاثة أدوار: دور اللغات القديمة، ودور اللغات الوسطى، ودور اللغات الحديثة والمعاصرة، وبالطبع كانت هذه الأدوار الثلاثة بمثابة حلقات ربط الزمن بعضها ببعض، وأبعدتها الحوادث والطوارئ والتفاعل في سلسلة طويلة لم يعد لآخرها خبر عن أولها إلا الشيء اليسير والنزر القليل.(1)

وحين دخل الإسلام بلاد إيران كانت اللغة الإيرانية الشائعة هي اللغة "البهلوية" وهي من أهم اللهجات الإيرانية الوسطى التي كان قد تم بها تسجيل الكثير من الآثار الزردشتية وتعاليمها، كما تم نقل كتاب "الأفستا"(2) إلى لغتها، ويدل تاريخ اللهجات الإيرانية على أن اللغة الدريّة وهي اللغة الفارسية الحديثة للدور الثالث كانت معروفة في "المدائن" عند دخول الإسلام إليها، وهي امتداد للغة البهلوية وأحد مظاهر التفاعل بين اللغات المتقدمة، واعتبر الجنرال "سايكس" في كتابه "تاريخ إيران" أن دخول اللغة العربية في اللغة الفارسية نهاية لدور اللغة البهلوية، وزاد على ذلك أن اعتبرها من اللغات المهجورة .

وامتدت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد إيران، وظهر الإسلام في صورته العربية لغة وطبيعة وحكماً، وعرض الإسلام على السكان الإيرانيين الدخول إليه، فكان ذلك عاملاً في دخول اللغة العربية في صلب اللغة الفارسية الحديثة وتغلغلها فيها. وهذا يقودنا الآن للحديث عن مكانة اللغة العربية في إيران، وسنأخذ مثالا على ذلك مدينة أصفهان باعتبارهما مركزاً مهماً من مراكز إشعاع اللغة والأدب العربيين في إيران.

منزلة اللغة العربية في إيران :

لاقت اللغة العربية وآدابها اهتماماً عظيماً في إيران منذ العصور الأولى للإسلام وخاصة بعد أن أصبحت لغة الدين والعلم والدولة، فكانت تدرّس في مختلف المستويات ويهتم بها عامة الناس وخاصتهم، ولاسيما طلاب العلوم الدينية الذين أقبلوا إقبالاً منقطع النظير على تعلّم هذه اللغة وكشف أسرارها وفهم دقائقها ومعانيها، مما جعلهم يتربعون على ذروة المناصب الحكومية التي كانت قائمة أساساً على التثقف الواسع والعميق في لغة القرآن الكريم.

وكانت لدراسة الأدب العربي في إيران مراكز هامة ومدارس علمية غاية في الشهرة كتلك التي كانت قائمة في نيشابور والري وأصفهان. وتعد أصفهان – منذ أقدم عصورها وحتى يومنا هذا – حاضرة من حواضر العلم والثقافة ومهداً للغة العربية وآدابها لتقديمها الكثير والكثير من أساطين العلم وأعلام الأدب المبرّزين. فأصفهان كما قال المفضّل بن سعد المافرّوخي الاصفهاني (من علماء القرن الخامس للهجرة) مميّزة حقاً بمعاليها وبمناقب أهلها عمّن سواها من بلدان العالم :

لأصفهان مَعالٍ لم يُخصّ بها ما بينَ شَرق وغربٍ في الدُنا بَلد(3)

وقديماً كانت أصفهان مركزاً علمياً هاماً حرص ملوك فارس على إيداع علومهم ومعارفهم فيها للمزايا الفريدة والخصوصيات الممتازة التي كانت تتمتع بها هذه المدينة. وفي هذا الشأن يقول ابن النديم نقلاً عن أبي معشر في كتابه اختلاف الزيجات: «إنّ ملوك فارس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر، وإشفاقهم عليها من أحداث الجو وآفات الأرض، أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها على الأحداث، وأبقاها على الدهر، وأبعدها من التعفن والدروس... فلما حصلوا لمستودع علومهم أجود ما وجدوه في العالم من المكاتب، طلبوا لها من بقاع الأرض وبلدان الأقاليم، أصحّها تربة وأقلّها عفونة وأبعدها من الزلازل والخسوف وأعلكها طيناً وأبقاها على الدهر بناءً، فانتفضوا بلاد المملكة وبقاعها، فلم يجدوا تحت أديم السماء بلداً أجمع

لهذه الأوصاف من أصفهان»(4).

وبعد دخول الإسلام إلى إيران كانت أصفهان إحدى المدن التوّاقة لاحتضان لغة الدين الحنيف. فاجتذبت كل ما هو مرتبط بهذه اللغة من علوم ومعارف، وشاركت مشاركة فعّالة في تنمية هذه العلوم ونشرها بشكل واسع، مخلفة من ورائها أعمق الأثر في ارتقاء هذه اللغة وازدهارها من خلال الثروة العلمية الهائلة التي قدّمتها للمكتبة الإسلامية.

هذا وأن مكانة اللغة العربية في إيران لا تتوقف عند مجيء الإسلام فقط، بل إن اهتمام الإيرانيين باللغة العربية وثقافتها يعود إلى ما قبل الإسلام، وهذا ما سأشير إليه في النقطتين التاليتين :

تأثّر الإيرانيين باللغة العربية في ذهابهم إلى بيت الله الحرام قبل الإسلام:

كان الإيرانيون قبل الإسلام يذهبون إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة لزيارة البيت الحرام، أما لماذا كانوا يذهبون إلى الحج، فقد ذكر المؤرخون أن الإيرانيين كانوا يعتقدون أن النبي إبراهيم عليه السلام الذي بنا الكعبة الشريفة هو جدهم، وبما أن النبي إبراهيم عليه السلام كان يقدس الكعبة فهم أيضا يقدّسونها، (وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيماً له ولجدّها إبراهيم عليهالسلام ،وتمسُّكاً بهديه وحفظاً لأنسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك... فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به... وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر، وقد كان ساسان بن بابك هذا أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً فدفن في زمزم) (5).

وأشار المسعودي إلى أن ذهاب الإيرانيين إلى بيت الله الحرام قبل الإسلام واجتماعهم حول بئر زمزم كان في سنوات عديدة حيث قال : (ترادف كثرة هذا الفعل منهم)(6) ، والحصيلة من هذا البحث أن ذهاب الإيرانيين وبصورة مترادفة إلى الحج قبل الإسلام قد جعلهم يتأثرون باللغة العربية.

تأثر الإيرانيين باللغة العربية في دفاعهم عن عرب اليمن أمام الأحباش :

حادثة حملة الأحباش والسودان من إفريقيا على جنوب الحجاز قبل الإسلام ذكرها معظم المؤرخين، ومنهم ابن الأثير الموصلي(7) واستنجد العرب في جنوب الحجاز بالروم فلم ينجدوهم وتيمّموا نحو الإيرانيين فهبوا للدفاع عنهم وقضوا على المهاجمين، واستمرّ دفاع الإيرانيين عن العرب في جنوب الجزيرة العربية فترة طويلة من الزمن، وفي حملتين، ففي حملة الإيرانيين الأولى والتي قضوا فيها على الإفريقيين المهاجمين، وبعد أن استقرت الأوضاع عاد الإيرانيون إلى بلادهم، وانتهز الأفارقة فرصة غياب الإيرانيين وحملوا ثانية على جنوب الجزيرة وقتلوا ونهبوا فعاد الإيرانيون إليهم وقضوا عليهم بصورة كاملة، والتلاحم الذي صار بين الإيرانيين وعرب الجنوب جعل الإيرانيين يتأثرون باللغة العربية لدرجة أن بعضهم أنشد شعراً بهذه اللغة عن حملة الإيرانيين عن طريق المياه ووصولهم إلى قبيلة حمير في جنوب الحجاز والقضاء على الأفارقة ذوي السحنة السوداء والذين عرفوا باسم «السودان» فقد قال ذلك الشاعر الإيراني :

نحن خُضْنا البحار حتى فككنا حِميراً من بلية السودان(8)

تأثير اللغة العربية على اللغة الفارسية :

إن انضواء إيران تحت لواء الإسلام وتحررها من العهد الساساني الذي اتسم بالظلم والإرهاب، و تحول هذه البلاد العريضة الواسعة من عباده النار والخرافات إلى عبادة الله، قد فجر في الإيرانيين طاقات علمية وفكرية هائلة، ووجدوا أنفسهم منجذبين إلى هذا الدين الجديد، فأقبلوا عليه بشوق ولهفة، وشعروا بأنه الفجر الذي كانوا ينتظرون طلوعه والأمل الذي يحقق طموحاتهم في حياة حرة كريمة. وكان تهافتهم على تعلم العربية والقرآن بشكل مثير للانتباه، حتى أصبح الكثير من الإيرانيين من أكابر علماء العربية والأدب

العربي والفقه والتفسير. واكتسبت الفارسية الهوية الثقافية الإسلامية خلال العقود الأولى من استنارة بلاد فارس بالإسلام. و بعد أكثر من ألف عام من الجهود الدائبة والحركة الثقافية التي نهض بها مفكرون وعلماء وكتاب إسلاميون إيرانيون في مراكز إسلامية مهمة كبلخ، وبخارى، وخراسان، وخوارزم، وأصفهان التي سبق الإشارة إليها و تأليف مئات التصانيف في مختلف العلوم القرآنية والحديث والأدب ومختلف العلوم والفنون، أصبحت الفارسية إلى جانب العربية مصدراً لنشر الثقافة الإسلامية حتى إننا يمكن أن نقول بجرأة أن الثقافة الإسلامية لا يمكن أن نفهمها بكل عناصر جمالها مالم نفهم اللغتين العربية والفارسية معاً(9).

جاء الإسلام إلي إيران وجميع طقوسه وتعاليمه ونصوصه بالعربية، وكان التبشير بالإسلام وباللغة العربية هو الغاية الأولى والأخيرة من الفتوحات الإسلامية .

يقول البروفيسور "إدوارد براون" : إن الآثار الإيرانية وحضارتها التاريخية تعرضت مرتين لحملتين أحدثتا فيها فجوتين عميقتين، أولاهما الحملة التي قام بها الاسكندر على إيران والتي انتهت بزوال "الإخمينيين" وقيام دولة "السلوكيين" اليونانية، وبعدها قيام دولة "البارتيين"، ثم مجيء "الساسانيين" في عهد بلغ مداه خمسمائة وخمسين عاما، أما ثانيتهما فهي الحملة التي قام بها الإسلام على إيران، والتي لم ينته بها عهد الساسانيين فحسب، وإنما أطاحت بالديانة الزردشتية، وعلى أن مدة هذه الفجوة كانت أقصر من الفجوة الأولى، ولكن تأثير الإسلام كان عميقاً في نفوس الإيرانيين وفي أفكارهم ولغتهم، لأن الحضارة اليونانية وطابعها على ما رأى "نولدكه"(Noldeke)لم تستطع أن تتجاوز المظاهر والشكل والقشور من حياة الإيرانيين، أما الشريعة الإسلامية فقد تغلغلت في ذلك الحين بشكل ملحوظ في إيران(10).

ويقول "شبلي نعماني" في "شعر العجم": إن الحقيقة هي أن الإسلام يشيع وينتشر في أية أمة، يشغل الدين منها كل فراغها، و يحتل جميع نفوسها، بحيث لا يبقي مجالاً للتفكير في شيء آخر من الشؤون المدنية والاجتماعية غير الدين.

ويقول "ابن خلدون": إن استعمال اللسان العربي صار من شعائر الإسلام، وصار هذا اللسان لسان الشعوب والأقوام في جميع المدن والأمصار، وهذا ما دعا المدركين من المسلمين الإيرانيين أن يمنحوا الديانة الإسلامية كل ما يملكون من جهود للتفقه بها، ودراسة فلسفتها وأهدافها، والحدب على القرآن الكريم وتتبع تفاسيره، وما تفيض به كتب السيرة، وكتب الحديث والأخبار والرواية، ولما كانت مثل هذه العناية بالدين لا تتم على وجوهها الكاملة من غير الإحاطة باللغة العربية وقواعدها، فقد أقبل الكثير من الإيرانيين وأولادهم وأحفادهم من الداخلين في الإسلام مباشرة أو من الموالي على دراسة اللغة العربية والنصوص الدينية ومتطلبات البلاغة، حتى لقد نبغ فيهم أئمة وعلماء كأبي حنيفة النعمان بن ثابت في الفقه، وكالبخاري في الحديث، والكسائي وسيبويه والفراء والاخفش في النحو، وكأبي عبيدة معمر بن المثني في اللغة والأدب وغيرهم ممن تصدوا لدراسة الدين والأدب في القرنين الأول والثاني. أما الذين نبغوا بعد ذلك من الموالي أصلا أو الداخلين في الإسلام مباشرة أو انتقالا عن آبائهم، فقد كانوا كثيرين جدا، وعن طريق هؤلاء وأمثالهم انتقلت نصوص الديانة وشروحها وتفاسيرها وإعرابها وقواعد اللغة وعروض الشعر إلى اللغة الفارسية، فكان لها شأنها في تطوير اللغة الدريّة الفارسية، ونسيان أو تناسي عدد غير قليل من الكلمات الفارسية، بل اختفائها نهائياً من القواميس الفارسية وحلول الكلمات العربية محلها، و كان الاهتمام باللغة العربية من الإيرانيين قد بلغ القمة منذ القرن الثاني الهجري، فما بعد حتى ألفت عدة قواميس للغة العربية باللغة الفارسية.

لقد أصبحت اللغة الفارسية إحدى وسائل التبليغ للإسلام في المراكز البعيدة عن المناطق العربية فقد انتشر الإسلام بواسطتها في شبه القارة الهندية وحتى أقصى نقاط آسيا. حتى أن أغلب السلالات التي حكمت الهند كالغزنوية و الغلامية و الخلجية قد أقامت ثقافتها الدينية على أساس اللغة الفارسية.

وكان من نتيجة ذلك أن أقصيت الفارسية البهلوية المعقدة، وظهرت إلى الوجود لغة جديدة متأثرة بالعربية والإسلام وتحمل الكثير من المفردات العربية والمصطلحات الإسلامية، وهي اللغة الفارسية الدرية التي سبق أن أشرنا إليها. وقد دخلت تلك المفردات العربية بشكل تدريجي، سيما وأن اللغة القديمة كانت عاجزة عن تلبية الحاجات الجديدة التي ولدت بفعل الإسلام، وقاصرة عن التعبير عن الأفكار المستمدة من هذا الدين الإلهي. وقد قويت الفارسية نتيجة لذلك وأصبحت أكثر عالمية. «فالعربية قد أغنت الفارسية إغناء كثيراً مما جعلها قادرة على إنشاء أدب متفتح وخصوصاً في الشعر. فقد بلغ الشعر الفارسي أوج جماله وروعته في أواخر القرون الوسطى. وسلكت الفارسية الجديدة سلوكاً كان يأخذ بزمامه جماعة من الفرس المسلمين الماهرين بالعربية قبل أن يدخلوا حلبة الأدب الفارسي الجديد»(11).

عرفت الكلمات والمفردات العربية منذ دخول الإسلام والعربية إلى إيران رواجاً وانتشاراً كبيراً بين أوساط أدباء وعلماء وحكماء وشعراء إيران. وبالطبع فالكلمات الدينية كانت أول ما دخل إلى الفارسية من ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

صلوة،زكاة،صوم،إيمان،كفر،منافق،قرآن،كعبه،حج،إسلام، مسلم، مسجد، شرع، إمام، حاكم، قاضي،أمير، عامل، خراج، جزيه، بيت المال، فقيه، أول، آخر، عرب، عجم، راحت، جهاد، آيت،كوثر، عقاب، ثواب، آدم، حواء، جمعه، حلال، حرام، بركت، مبارك، مؤمن، كافر، فاسق، خبث، اقامه، متعه، طلاق، قبله محراب، مناره، مأذنه، أذان، شيطان، سجين، غسلين، زقوم،

تسنیم، یاجوج، ماجوج، منکر ونکیر، حشر، نشر، واجب،مستحب،برکت،عدہ،صواب،غلط،خطا،وسوسہ،نصیحت،طبیعت،غالیہ، لخلخہ، جبہ، مقنعہ، دراعہ، طیلسان، مخدع، ساعت، نیت، تکبیر، خیر وشر، عذاب، جحیم، سقر، دعا، غاشیہ، سعیر، طوبی، حور، غلمان، خلد، نعیم، شہادت، رکوع، سجود، سجدہ، سلام، صدقہ، ہدیہ، ورد، عزرائیل،اسرافیل، جبرائیل، مکائیل، عرش، فرش، کرسی، لوح، قلم، ازل، ابد، تسبیح، تہلیل، تہُجد، نافلہ، حنوط،کفن، تشییع، شہید، افتری، استغفار، لعنت، رجیم، رحمن، مرحوم، قربان، انفاق، اول، ثاني، حرب، ہیجا، غازي، غزو، سلطان، شحنہ، حرس، شرطہ، محتسب، احتساب، امر و نہي، معروف و منکر، ملك، حصار، قدر، قضا، امن، ایمن، عبرت، فقر، جمع، جمعیت، شرافت، سید، عظیم، اطاعت، مطیع، تہنیت، انتقام، شکر، حیلت، وسیلہ، سمع، طاعت، بصیر، کرم، اکرام، سخا....الخ(12).

تبع ذلك رواج الکلمات السیاسیۃ و الإداریۃ و المفردات ذات الاستعمال الیومي مثل: مملکت، رعیت، کاتب، کتاب، رسول، اشراف، مشرف، دولت، ملت، شرط، جزا، حبس، خادم، خدمت، تعبیہ، عصیان، خلاف، طغیان، طاغی، خارجی، خوارج، عفو، سخط، لجاج، صلح، خلافت، خلیفہ، حرم اتفاق، نفاق، رایت، علامت، مقدمہ، سافہ، فرار، ہزیمت، سبب، اختیار، اعتبار، عامل، بیعت، استخفاف، ولیعہد، خلف، سلف، نسب، حسب، خطبہ، خطیب، مخاطبہ، عتاب، زجر، معاونت، طلب، حق، اجابت، دعوت، داعی، ادعا، غوغا، فساد، ترتیب، راتب، عطا، اجرا، غنیمت، کفایت، کافی، صعب، خوف، رجا، دفع، رد، التماس، التجا، جوار، حمایت، حامی، تعصب، عصبیت، حمیت، فخر، عار، مباہات، حد، رباط، معنی، لفظ، سلاح، مزاح، خدمۃ، مکر، حاجت، احتیاج، اضطرار، مہلت، قبل، طرف، جہت، حقیقت، حال، عہد، سنہ، شہر، محل، عرض، عرضہ، جیش، مطاف، نصرت، غلبہ، کثیر، قلیل، اعتماد، معتمد،

عمد، تعمد، طعام، تبديل، معلوم، قوم، تبديل، قرب، قربت، صنعت، غرفه، اسير، لون، شكايت، مدارا، اهل واقعه، موسم، موكل، بطل، شجاع، جامع، يأس، بأس، غيب، عمر، وداع، جناح، قلب، قوت، قوى، آلت، رضا، تقصير، شرح، ملت، طمع، قول، خاص، عام، عذر، معذور، نفس، تعجيل، معلم، علم، مشرق، شرق، غرب، مغرب، محيط....الخ

يؤكد محمد تقي بهار في كتابه "سبك شناسى" على أن دخول الكلمات العربية إلى الفارسية في الوهلة الأولى كان جدّ محدود بحيث لم تتعد نسبة الكلمات العربية الواردة إلى الفارسية في العهد الساساني ١٥% لكن هذه النسبة سترتفع فيما بعد لتصل في القرن الخامس الهجري إلى٥٠% و في القرن السادس والسابع والثامن بلغت نسبة المفردات العربية في الفارسية نحو ٨٠% (13).

يعتقد الدكتور ذبيح الله صفا في كتابه "تاريخ الأدب"(14) أنّ سبب استعمال المفردات العربية في الفارسية يرجع بالدرجة الأولى إلى عاملين اثنين:

- في الحالات التي لم يوجد فيها معادل فارسي للكلمة العربية، بحيث كان استعمال المفردة العربية لازماً، ويدخل في هذا النطاق كل الكلمات التي تنتمي إلى القاموس الديني والمصطلحات السياسية والديوانية والعلمية.
- في الحالات التي كان يبدو فيها أن الكلمة العربية أكثر بساطة وسلاسة من الكلمة الفارسية القديمة.

من ناحية أخرى إذا رجعنا إلى الكتب والآثار الفارسية التي ألّفت في القرون الوسطى ومن جملتها "أحسن التقاسيم" للمقدسي وغيرها من الكتب سنقف على التأثير العميق الذي خلفته الكلمات العربية على الفارسية وسندرك ميزان نفوذ ورواج المفردات العربية في الفارسية..

أما بالنسبة للجمل والتراكيب العربية التي دخلت إلى اللغة الفارسية فقد عرفت هي الأخرى على غرار المفردات، انتشاراً ونفوذاً واسعاً في الفارسية، وزُينت اللغة الفارسية بجمل وتراكيب عربية عديدة، يمكن ملاحظة هذا النفوذ في صور وحالات كالآتي:

1 دخول جمل وتراكيب عربية في الفارسية وإفادتها لمعاني القيد أو أداة الربط أو الصفة أو الاسم، مثال: في المثل، على أي حال، لا جرم، لا محالة، بالطبع، لا ينقطع، فوق العادة و...

2 كتابة التواريخ والتقويم بالعربية : في كل النصوص الفارسية القديمة مثل "تاريخ سيستان" و"تاريخ البيهقي" ورسائل رشيد الدين الوطواط والآثار الفارسية الأخرى نجد أن التقويم والتأريخ يثبت باللغة العربية(15) :

"پنج روز رفته از شعبان سنه ثمان و اربعين و ماتين" ، "تاريخ سنه سبع و عشرين و اربعمائة و غره محرم..."

3 كتابة الأعداد والأرقام بالعربية: أورد بعض الكتاب الأرقام باللغة العربية رغم أنها ليست تواريخ أو مقاسات أو أشكال هندسية، ومازالت تستعمل لحد الآن، على سبيل المثال فالبيهقي أورد: "و در آخر مجلد تاسع سخن روزگار امير مسعود..." (16).

4 كتابة عناوين الكتب بالعربية: تأثير العربية ونفوذ الثقافة الإسلامية في إيران حذا بالإيرانيين إلى اختيار عناوين كتبهم ومؤلفاتهم بالعربية، من ذلك: أسرار التوحيد،كشف الأسرار، حدائق السحر، المعجم في معايير أشعار العجم، مرصاد العباد، سوانح العشاق، وغيرها.

5 ديباجة الكتب بالعربية.

6 كتابة عناوين الفصول بالعربية، مثل البيهقي في تاريخه، فقد أورد عناوين بعض فصول الكتاب بالعربية(17):

"ذكر بقية أحوال امير محمد" "ذكر سبب انقطاع الملك من ذاك البيت" "ذكر ما انقضى من هذه الأحوال والأخبار تذكرة بعد هذا..." "ذكر ورود الرسول من بغداد وإظهار موت الخليفة القادر"...

7 إثبات النسب بالعربية.

8 المدح والذم بالعربية، مثل: نصرهم الله ، لعنهم الله ، و...

9 التلميع: وهو صنعة بديعية تختص بالشعر، لكن استعمل كذلك لتزيين النثر أو الشعر الفارسي معاً، ومثال ذلك أن يورد الشاعر بيتا بالعربية وآخر بالفارسية إلى آخر القصيدة(18).

10 تضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في الأشعار والمتون النثرية الفارسية، ومازال هذا الفن يعرف رواجاً كبيراً.

ولم يقتصر الأمر على المفردات والجمل العربية، بل دخلت إلى الفارسية حتى قواعد العربية كالجمع والتثنية وعلامة التأنيث ومطابقة الصفة للموصوف والقواعد الصرفية ونظام العروض العربي وبعض الأوزان الشعرية.

ولابد من التذكير بأن بعض المفردات والمصطلحات العربية قد دخلت إلى الفارسية بعد أن أجريت عليها بعض التغييرات والتعديلات التي صاغتها بما يتلاءم وقواعد الفارسية. فمثلاً قد تُركت كافة مخارج الحروف العربية عدا تلك التي تتشابه مع مخارج الحروف الفارسية. كما حذفت أجزاء من أوائل وأواخر بعض المفردات، فأخذت لا تعطي المعنى الذي لها في العربية. وتحول بعض الأفعال إلى صفات وأسماء، و عوملت بعض صيغ الجمع وكأنها كلمات مفردة.

وكان نفوذ الكلمات العربية إلى الفارسية قد تم في البداية في صورتين :

1- عندما تكون المفردة العربية أبسط من الفارسية أو أسهل منها، أو عندما يكون استعمالها في الفارسية سبباً من أسباب تطويرها وازدهارها.

2- عندما لا يوجد للمفردة العربية مفردة تقابلها في الفارسية. ويشمل هذا النوع المفردات والمصطلحات الدينية، وبعض المصطلحات السياسية والعلمية.

ويبدو أن كافه المفردات العربية التي استخدمت في شعر القرن الرابع الهجري، هي من نوع المفردات التي نفذت إلى الفارسية في أواخر القرن الثالث، غير أنها كانت أكثر استعمالاً في الشعر منها في لغة النثر والمخاطبة. «ومنذ أواخر القرن الهجري الرابع حينما انتشرت الثقافة الإسلامية وتأسست لذلك مدارس في مختلف نقاط إيران، وغلبت الديانة الإسلامية على سائر الأديان، واجهت مقاومة الزردشتيين في إيران هزيمة مصيرية نهائية، وبدأت تتجلى الثقافة الفارسية بالصبغة الإسلامية، وتأسست أسس التعليم على الأدب العربي والدين الإسلامي.. حينذاك أكثر الكتاب والشعراء من نقل الألفاظ العربية، وقللوا من الكلمات والأمثال والحكم السابقة في النثر والشعر. ونحن نرى أن حِكَم بزرجمهر والأفستا وزردشت ترد في شعر الفردوسي والدقيقي وغيرهما من شعراء العهد الساماني وأوائل العهد العزنوي أكثر منها في شعر العنصري والفرخي والمنوچهري في القرن الرابع وأوائل القرن الهجري الخامس»(19).

ومنذ القرن الهجري السادس ازداد التلاصق بين اللغتين الفارسية والعربية وكثر استعمال المفردات والمصطلحات العربية في النثر، فضلاً عن تداولها بين الشعراء. بل ودخلت في هذه الفترة حتى المفردات والعبارات العربية التي لا يبدو دخولها ضرورياً ولم تستدع الحاجة إليها.

ودفع التأثر بالعربية بعض الإيرانيين القدماء إلى كتابة مؤلفاتهم بالعربية و من هؤلاء نذكر :

الصاحب بن عباد (توفي 385هـ) من مدينه طالقان الإيرانية، وأصبح وزيراً لمؤيد الدولة البويهي ومن ثم أخيه فخر الدولة. وكان يكرم الشعراء والكتاب ويهتم بالأدب العربي. ومن أهم آثاره بالعربية كتاب «المحيط في اللغة»..

بديع الزمان الهمداني (ت398هـ) ولد بهمدان وانتقل إلى خراسان وجرجان. له بالعربية كتابه «المقامات» و «الرسائل»..

ابن مسكويه (ت421هـ) مفكر أديب وكان ذا نفوذ عظيم في البلاط البويهي. له «تجارب الأمم» و«تهذيب الأخلاق»..

أبو ريحان البيروني (ت440هـ) عالم إيراني شهير برز في مختلف العلوم والتاريخ والأدب. ومن مؤلفاته «الآثار الباقية من القرون الخالية» و«القانون المسعودي في الهيئة والنجوم»..

ابن سينا (ت 428هـ) من مشاهير إيران ومفاخرها. ولد في بخارى وتوفي في همدان. برع في الطب والنجوم والرياضيات والحكمة والمنطق. من مؤلفاته : «القانون في الطب» و«الشفاء» و«الإشارات والتنبيهات» و«النجاة». وله في النفس قصيدة شهيرة مطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز و تمنع

محجوبة عن مُقلة كلّ عارف وهْي التي سَفرَتْ ولم تتبرقع

ولم تنفذ العربية مفرداتها ومصطلحاتها إلى الفارسية فحسب، بل نفذ الخط العربي أيضا. فقد وجد الإيرانيون أن الخط العربي أسهل بكثير من الخط البهلوي، وأنه يمتلك القدرة للتعبير عن لغتهم بجدارة.

إرهاصات الشعر الفارسي في الدور الجديد للغة الفارسية :

لقد وقع اختلاف كبير بين مؤرخي الأدب عن الشعر الإيراني، وعمًا إذا كان للشعر وجود في اللغة البهلوية قبل دخول الإسلام إلى إيران. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإن الرأي يكاد يكون واحدا في أن حضارة كحضارة إيران وفنونا كهذه الفنون المشهورة، منذ أول تاريخ إيران حتى اليوم لتفرض على الباحثين الإقرار بوجود الشعر. لقد أشرنا سابقاً إلى كتاب "الأفستا"، وهو كتاب ينطوي على أقسام خمسة، ويعتبر قسم الأناشيد من كتاب "الأفستا" أقرب إلى مفاهيم الشعر، وهناك صعوبة كبرى لدراسة هذه الأناشيد من حيث الصيغة والتهجنة، وبالنظر لما دخل على هذه الأناشيد من عبارات وكلمات يظن أنها أضيفت بعد زمن طويل إلى هذه الأناشيد،كشروح وتوضيحات، ولكنها ما لبثت أن صارت أصلاً، وقد أحدث تفريقها وفصلها فيما بعد عن الأصل الصحيح مشاكل عويصة، وكيفما كان الأمر فقد تصدى عدد كبير من علماء الاستشراق إلى دراسة الشعر الفارسي القديم من "الأفستا".

على أنه يمكن اعتبار بداية القرن الثالث الهجري كنقطة بداية لتاريخ الشعر الفارسي كما نعرفه، ويقال إن أول قصيدة نظمت في الفارسية الحديثة كانت قصيدة "عباس المروزي" التي ألقاها أمام المأمون، ومع هذا فإن " أبا حفص الحكيم السندي" كان أول من نظم بالفارسية في القرن الأول الهجري، ويبدو أن تخطي التاريخ "لأبي حفص" واعتبار بداية تاريخ الشعر من "العباس المروزي" لم يكن إلا لأن العروض العربي الذي لازمته الفارسية في قول الشعر الفارسي لم يظهر للوجود إلا في القرن الثالث الهجري، وبعد أن عمّت فيه اللغة الفارسية الحديثة جميع إيران، بعد أن كانت مقتصرة على الجهات الشرقية منها وحدها، وللشعر الفارسي الحديث ثلاثة أدوار هي:

الدور الأول: يبتدئ مع "حنظلة البادغيسي" وينتهي بـ "نظامي الكنجوي".

الدور الثاني: وهو الدور المتوسط، ويتبدىء من "كمال إسماعيل"، وينتهي بـ "عبد الرحمن الجامي".

الدور الثالث: وهو الأخير، ويبتدئء بـ "فغاني"، وينتهي بـ "أبي طالب حكيم".

وقد تغلب على هذه الأدوار التي تكامل امتزاج العربية فيها بالفارسية طبيعة الشعر العربي من حيث الموسيقى أو الوزن، ومن حيث البديع، أما من حيث الوزن فكل البحور في الشعر الفارسي، باستثناء البعض القليل منها كقالب الرباعيات مثلاً، عربية اتخذها الشعر الفارسي طريقة للأداء، و كان عمود الشعر العربي من حيث الطريقة واحداً لا يكاد يحيد عن نمط القصيدة، قبل أن يظهر الموشح، فجارى الشعر الفارسي الشعر العربي في ذلك أول الأمر، ثم كسر عموده وأحدث نظم المقاطع والرباعيات والمثنوي وغيره، كما أحدث الشعر الفارسي في طريقة القافية العربية تغييرات كثيرة من حيث تعدد القوافي في المصاريع أو القصيدة أو السجع الذي يقع قبل القافية وغير ذلك من التصرفات الفنية، ومع ذلك كله فإن البناء العام من حيث الموسيقى والوزن في الشعر الفارسي لا ينبغي أن يعتبر غير عربي.

ولم تكن البحور وحدها التي أخذها الشعر الفارسي من العربية نتيجة للعوامل التي سردناها بخصوص دخول اللغة العربية في صلب اللغة الفارسية، وإنما كان للبديع الذي اتصف به الشعر العربي أكثر من أي شعر آخر شأناً في الشعر الفارسي الحديث، وهذا لا يعني أن اللغة الفارسية بطبيعتها خالية من البديع، ذلك لأنه ليس ثمة لغة تخلو من ألوان البديع المعنوي أو اللفظي الطبيعي على قدر قابلية تلك اللغة وقدرة تعبيرها، وعلى الأخص اللغة الفارسية، فإنها غنية بالبديع المعنوي الطبيعي البعيد عن الصناعة ، وتملك الفارسية الشيء

الكثير من البديع الذاتي الذي قد يظنه البعض ضرباً من الصياغة والبديع اللفظي الذي تأتي به الصناعة، بينما هو بديع ذاتي تختص به الفارسية كما تختص به العربية، والمقصود بالشأن الذي أحدثته اللغة العربية من بديعها في الفارسية هو التفنن اللفظي والصياغة الفنية التي تعتبر العربية فيه من أغنى اللغات الحية، وقد تأثرت الفارسية بهذا البديع إلى حد كبير، حتى طفح الشعر الفارسي بألوان كثيرة من الاستعارة والجناس والتورية وسائر ضروب البديع اللفظي وفن الصياغة.

في ختام هذه الدراسة لابد من التأكيد على أن المؤثرات الفارسية على الأدب العربي ضئيلة جداً بل لا تُعد شيئاً إذا قيست بأثر الأدب العربي على الآداب الفارسية، وفيما يتعلق بالتأثير اللغوي فمن المعروف أن عُرى الصلة توثقت بين العربية والفارسية، ويعترف «دولت شاه» في كتابه «تذكرة الشعراء» بأن الفارسية اتبعت العربية إذ يقول: «إن للعرب الفصاحة والبلاغة وإن العجم اتبعوهم في ذلك». ومن المعروف أن قواعد البلاغة العربية أثرت في صور الخيال الفارسية الشعرية، فأقدم الكتب الفارسية في البلاغة كتاب «ترجمان البلاغة»، من تأليف محمد بن عمر الرادوباني، وكتاب «حدائق السحر» وغيرها من الكتب هي كلها محاكاة لكتب البلاغة العربية. وللحقائق المذكورة و غيرها فإننا نستطيع القول بأن كلاً من الشعر العربي والشعر الفارسي قد أعطى وأخذ، فقد أعطت الفارسية الشعر العربي عمق المعنى وجمال التصوير وعمق الحكمة واتساع الأفق. وأعطت العربية الشعر الفارسي العروض والبديع والدين بمنازعه وأفكاره.

ولكن هناك حقيقة واضحة يستطيع كل متأدب، فضلاً عن الأديب أن يلمسها وهي أننا إذا ألقينا على الشعر العربي والشعر الفارسي نظرة عامة وجدنا أنفسنا أمام أدب يكاد يكون واحداً من حيث التصوير والتشبيه والكناية والبديع، بحيث إذا قمنا بترجمة الأدبين إلى لغة أخرى صعب على من يتولى

درسهما أن يفرق بينهما ويعيد كل أدب إلى أصله، وذلك لأن الاتصال بين هذين الأدبين قد بلغ حداً لم يبلغه أي اتصال بين أدبين آخرين، بسبب تلك العوامل التي استعرضناها في هذا المجال.

البيبليوغرافيا المعتمدة

- ابن النديم، الفهرست، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان.
- المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الرابعة، 1964م.
- المعجم في معايير أشعار العجم، بتصحيح محمد قزويني ومدرس رضوي، الطبعة الثالثة، طهران، 1360ش.
- مرتضي المطهري، الإسلام و إيران.
- ذبيح الله صفا، سيري در تاريخ زبانها و أدب ايراني.
- نجيب مايل هروي، قلمرو زبان فارسي.
- ابن خلدون، المقدمة، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة.
- إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، دار السعادة، مصر 1956م.
- محمد بن عمر الرادوياني، ترجمان البلاغة، تصحيح أحمد آتش، الطبعة الثانية, طهران 1362 ش.
- رشيد الدين الوطواط، حدائق السحر في دقائق الشعر، ترجمة إبراهيم الشواربي، 1945م.
- بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.

المقالات :

- في ضوء التواصل الثقافي، التأثير المتبادل بين الفارسية والعربية، عبد الرحمن العلوي.
- الشعر العربي لدى الفرس قبل الإسلام، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، عدد 15 سنة 1384.
- العلاقات اللغويّة بين العربيّة والفارسيّة...،مجلة آفاق الحضارة الإسلامية عدد 12.

المصادر والمراجع

(1) للمزيد من الإطلاع في هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى :

- سامي على، تمدن الإخمينيين،الجزء الأول، شيراز،1341، ص 253 فما بعد.
- فريديريش يوهانس، اللغات الصامتة،ترجمة الدكتور يد الله ثمرة و الدكتور بدر الزمان قريب،طهران،1365،ص 53 فما بعد.
- مقالة بارتلمه chr.Bartholomae ص 152، القسم الأول من الجزء الأول من كتاب:

- Grundriss des Iranischen Philologie.Strassburg : 1895-1951

- Brandenstein W.u.Mayrhofer.M.Handbuch des Altpersischen, Wiesbaden: 1964, p 24f.
- E. Doblhofer; Le Déchiffrement des Ecritures, France: 1959, p .91f.
- Kent.R.G; Old Persian: Grammer, Texts, Lexion; New Haven, Connecticul: 1953, p.9 f.

(2) أوستا : بفتح وكسر، الأبستاق(معرب) و هو كتاب الزردشتيين (المجوس) المقدس الذي جاء به زردشت.وهذا اللفظ هو بمعنى المتن الأصلي.ويتألف من أجزاء هي اليسنا و تتضمن طقوسا دينية،و الويسبرد و يلحق باليسنا لأعياد خاصة،و اليشت و هي مجموعة من الصلوات،و الونديداد و هو كتاب

شرائع، و صلوات تسمى الأوستا الصغرى، و الكاتا و هي أناشيد تنسب الى زردشت.و قد ضاع معظم هذا الكتاب بعد حملة الاسكندر المقدوني على فارس و إحراقه مدينة برسبولبيس (تخت جمشيد).و أمر أردشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية بجمع أشتات الكتاب بيد أنه لم يصل الينا بتمامه.

(3) محاسن أصفهان، ص 21

(4) ابن النديم، الفهرست، ص 301

(5) مروج الذهب، المسعودي، ج1، ص265.

(6) المصدر السابق.

(7) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج1، ص 288.

(8) مروج الذهب، 2، 57

(9) قلمرو زبان فارسى، نجيب مايل هروي، 7

(10) اللغات السامية ص٨ ترجمة د. رمضان عبد التواب .القاهرة 1963

(11) الإسلام وإيران ص 101.

(12) للإطلاع على المزيد راجع: محمد تقى بهار، سبك شناسى، ج ١ ص 261, 259, 260 و كذلك: أحمد موسى،بارسىكويان عربى سرا أز آغاز تا عبد الرحمن جامي،ج 1 ص 30, 31, 32

(13) محمد تقى بهار، سبك شناسى، ج1 ص 259, 261

(14) ذبيح الله صفا، تاريخ الأدب الإيراني، ج1 ص152

(15) راجع في هذا الصدد: تاريخ البيهقي، ص 494 ، أحسن التقاسيم، ص 94,84، تاريخ سيستان، ص 378 ....

(16) تاريخ البيهقي، ص 7

(18) نفسه، ص 287, 80, 15

(19) رشيد الدين وطواط، حدائق السحر، ص 63 و أيضا جلال الدين همايي، الصناعات الأدبية، ص205 و أيضا أحمد موسى، يارسى كويان عربى سرا....ج 2 ص 329.

(20) الإسلام وإيران ص 91

*****